

الإهداء

- الى زوجتى رفيقة كفاحى ..
- الى أبنائى الصغار أحمد وغادة وفاتن الذين تركتهم مدة عام من أجل اعداد هذا البحث فى الولايات المتحدة •
- اليهم جميعا أهدى هذا العمل العلمى ..
- د • عبد المنعم الجميعى

مقدمة

اغتنمت فرصة وجودى بالولايات المتحدة فى مهمة علمية لمدة عام ، ابتداء من سبتمبر ١٩٨٣ ، فوضعت نصب عيني أهمية الوصول الى الدراسات التاريخية الأكاديمية الخاصة بتاريخ مصر الحديث ، والتى أجازتها الجامعات الأمريكية ، هادفا من ذلك أن أبين للباحثين والمؤرخين المصريين الذين لم تتح لهم الفرصة للاطلاع على هذه الرسائل ماهية هذه الدراسات ونوعياتها ، خصوصا وأن خير طريقة لتطوير الدراسة التاريخية المصرية لايتأتى الا بمواجهة الواقع ، والانفتاح على كل الآفاق ، ورغم أنه بدا لى فى أول الأمر أن الموضوع معقد ومتشابك خصوصا وأن هذه الدراسات بدأت منذ زمن طويل ، يرجع الى ما قبل انشاء الجامعات المصرية ، يضاف الى ذلك أن الجامعات الأمريكية التى تهتم بتاريخ الشرق الأوسط عموما وتاريخ مصر خصوصا ممتدة فى طون الولايات المتحدة ، وعرضها فقد هان ذلك كثيرا بعد استعمال البحث بالكمبيوتر computer searching وملخصات الرسائل الدولية

Dissertation Abstracts International

والمخلصات التاريخية — ملخصات القرن العشرين

Historical Abstracts — Twentieth century Abstracts 1914-1984.

وبعد الاطلاع على الرسائل التى قددر لها النشر ، واستخدام ما رأيته صالحا منها لهذا البحث تكشف لى بوضوح ضرورة الاطلاع على الرسائل التى لم تنشر ، خصوصا وأنها غير معروفة لدينا ، وبالرغم من أن هذا الأمر كان يتطلب الجهد الجهد فى التنقل من جامعة الى

أخرى ، فقد بدا هذا الموضوع هينا أكثر مما توقعت بعد أن علمت أنه يوجد بمكتبة جامعة بنسلفانيا قسم يسمى اقتراض الكتب فيما بين المكتبات interlibrary loan يمكن عن طريقه تسهيل عملية احضار هذه الرسائل من الجامعات التي أجازتها واعرتها أن يحتاج إليها .

ومن المفيد في هذا المقام أن نذكر بأن بعض الجامعات الأمريكية مثل هارفارد وشيكاغو وأوهايو لاتسمح باعارة الرسائل التي أجازتها كلياتها ، فشيكاغو يمكن أن تبيع نسخا مصورة من رسائلها لا أن تعيرها ، وكذلك أوهايو فانها لاتسمح باعارة رسائلها التي أجازت بعد عام ١٩٥٤ بل يمكن أن تبيعها ، أما هارفارد فلا تسمح لا بالبيع ولا بالاعارة ومن هنا كان يجب على الذهاب الى مكتبة جامعة هارفارد بكامبريدج ، وشراء بعض نسخ من رسائل جامعة شيكاغو وأوهايو .

ومن المفيد أيضا أن نذكر أن البحث بالكمبيوتر كثيرا ماتكون معلوماته في حاجة الى المراجعة فعندما طلبت الرسائل التي أجازتها الجامعات الأمريكية في تاريخ مصر الحديث أعطاني الكمبيوتر الرسائل الموجود في عنوانها كلمة Egypt سواء أكانت هذه الكلمة تعنى وطننا مصر أو البلدة التي تحمل هذا الاسم في أمريكا^(١) أما عن الرسائل التي أجازت في تاريخ مصر الحديث ، ولم يكن ضمن عنوانها كلمة Egypt أو Egyptian فلا تظهر في الكمبيوتر مثل غيرها مما أجاز من دراسات وضمن عنوانه كلمة مصر وعلى سبيل المثال فذكر الرسائل الآتية :

1. The Diplomatic Relationship between the Ottoman Empire and the Mamluk Empire in the First quarter of the Sixteenth Century.

(١) توجد في ولاية نيوجرسي الأمريكية New Jersey بلدة تحمل اسم New Egypt.

2. The Reforming years of Khedive Ismail Ibn Ibrahim 1863-1879.
3. Political journalism and Urabi Revolt.
4. The Politics of faith Yaqub Sanu As Abu Naddara.
5. The Fashoda Crisis.
6. Reform of Al-Azhar in the 20th Century.
7. The Azhar Journal — Survey Critique.
8. Muhammad Husayn Haykal : An Intellectual and Political Biography.
9. The Society of the Muslim Brothers.
10. The Formative stages of Sayyid qutb's.
11. The Suez Crisis 1956 : A case study in contemporary History.
12. Anthony Eden and the Suez Crisis of 1956.
13. Canadian foreign Policy During the Suez Crisis 1956.

ومعنى ذلك أن البحث بالكمبيوتر Computer searching
فى وضعه الراهن لم يتم امداده بالمعلومات الأكاديمية بواسطة
متخصص فى تاريخ مصر ، لذلك فان معلوماته تكون فى أحيان كثيرة
غير كاملة أو سليمة ، مما يشكل العد التام لما يستخدم الكمبيوتر من
أجله ، وعلى هذا فقد اضطرت الى مراجعة المادة العلمية لهذا البحث
بعد استخدام الكمبيوتر الذى لم يوفر على بهذه الصورة لا جهدا
كبيرا ولا وقتا طويلا .

وعن خطئى فى كتابة هذا البحث فقد رأيت أن التعريف بهذه
الرسائل التى أجيّزت فى هذا العالم البعيد لا يكتفى وان ذلك يمكن أن
يكون من صميم عمل أحد المتخصصين فى علوم المكتبات لا فى علم

التاريخ ، ومن هنا فقد رأيت القيام بعمل دراسة مقارنة بن هذه الرسائل ومثيلاتها التى نوقشت فى مصر .

وخلال العمل فى هذه الدراسة برزت لى عدة تساؤلات يمكن اجمالها فيما يلى :

— هل الجامعات الأمريكية سبقت الجامعات المصرية فى دراسة تاريخنا دراسة أكاديمية أو بمعنى آخر هل طلاب الدكتوراء فى الجامعات الأمريكية سبقوا طلابنا فى مصر فى العديد من موضوعات الدراسة فى تاريخنا أم العكس ؟

— هل الجامعات المصرية تكرر ما أجازته الجامعات الأمريكية من رسائل واذا افترضنا أن ذلك صحيح الى حد ما فلماذا يحدث هذا ؟

— ماذا يمكن أن يدور فى خلد الأستاذ المصرى المشرف على رسالة خاصة بتاريخ مصر الحديث لو علم أن مثل هذه الرسالة أجيّزت فى الولايات المتحدة من قبل ؟ وماذا يمكن أن يدور فى خلد الطالب المسجل لهذه الرسالة أيضا لو أنه علم بأنها قد سبقت إجازتها فى بلد آخر ؟

— هل يجب على الأساتذة المصريين أن يكونوا على دراية بالرسائل الأكاديمية الخاصة بتاريخ مصر التى أجازتها وتجزّتها الجامعات الأجنبية ؟ واذا كان ذلك مفيدا فما هو السبيل ؟

— هل الرسائل التى تتم إجازتها فى الجامعات الأجنبية تختلف فى منطلقاتها وطرقها عن الرسائل التى تناقش فى مصر ، وهل النتائج التى يتوصل اليها الباحث المصرى وبمعنى آخر «أنه لو كتب باحث مصرى وآخر أمريكى بحثا فى موضوع واحد هل يتشابهان فى المنهج والنتائج أم يختلفان ؟

— هل الأبحاث التاريخية التى تتم اجازتها فى الجامعات الأمريكية تظهر فيها التحليلات الموضوعية أكثر مما تظهر فى رسائل الجامعات الأخرى ؟ وإذا كان كذلك فلماذا تنتم معظم هذه الأبحاث بالتحليل والشمولية والنظرة الموضوعية ؟

— ماهو مدى مسايرة المدارس التاريخية المصرية للمناهج التاريخية الحديثة ؟

— هل نحن نساير الركب أو أننا نمضى وراءه ولا نلحق به .

— هل من المفيد تكرار البحث فى فترة تاريخية بعينها اذا لم يكن هناك جديد فى الوثائق والتحليلات العامة المتعلقة بها ؟

الواقع ان الاجابة على هذه التساؤلات قد تتطلب وقفة طويلة من جانب المؤرخين المصريين ، يراجعون فيها منجزات المدرسة التاريخية المصرية منذ نشأتها ، وما هى ايجابياتها وما هى سلبياتها ، ولكن المشكلة عندنا أننا نأخذ النقد العلمى غالبا على أنه نقد شخصى نشخص معين أو لمجموعة بذاتها مما يجعل البعض يحجم عن اتباع هذه انظاهرة الصحية ، ونظرا لأننى أتصور أن الخلاف فى رأى لايفسد للود تقضية فاننى سأحاول الاجابة على هذه التساؤلات :

١ — بالنسبة لمن أحرز قصب السبق فى دراسة تاريخ مصر الحديث فالواقع أن الجامعات الأمريكية سبقت جامعاتنا فى بعض الدراسات كما أن جامعاتنا سبقتها فى دراسات أخرى ، وفتحت المجالات لدراسات جديدة لم تطرقها الجامعات الأمريكية بعد .

وعن تكرار الرسائل فالواقع أنه لا أحد فى الجامعات الأمريكية ولا أحد فى الجامعات المصرية — حتى كتابة هذا البحث — يدرك بما فى حوزة الآخر من رسائل تمت الموافقة عليها .

لذلك فهذا التكرار يرجع الى عدم معرفة ماتمت الموافقة عليه
هنا أو هناك ، ومن هنا فان من واجب أقسام التاريخ بالجامعات
المصرية الاتصال بمثيلاتها فى الجامعات الأجنبية المهتمة بدراسة تاريخ
الشرق الأوسط وخصوصا مصر ، والوقوف على مايجرى هناك ،
والتنسيق مع هذه الجامعات لتفادى مثل هذا التكرار .. قد يقول
البعض اذا كنا لم نستطع التنسيق بين أقسام التاريخ فى الجامعات
المصرية نفسها فكيف نستطيع التنسيق مع الجامعات الأمريكية
والأوروبية .

وربما يدور فى خلد البعض الآخر مشكلة العملة الصعبة (الدولار)
التي قد تقف عائقا فى سبيل الأساتذة الأمريكيين الرغبة فى ذلك
التنسيق وان الاتصالات الشخصية بين الأساتذة المصريين وزملائهم
من الأجانب ربما قد تساعد على ذلك التنسيق خصوصا وان الجامعات
الأجنبية نفسها يهملها أن تعرف عما نوقش وسناقش فى أقسام
التاريخ بجامعاتنا يضاف الى ذلك أن مجالس الجامعات المصرية التي
تتفق الكثير فى محاولاتها لتطوير حركة البحث العلمى اذا عرض عليها
موضوع كهذا فربما تساعد على تحقيقه .

أما عن تكرار البحوث فاننا نعتقد أنه لو كانت هناك افتراضات
وننتائج جديدة فهذا شئ محمود ، أما تكرارها لعدم معرفة أنها نوقشت
فى جهة معينة فهذا شئ آخر .

وعن اختلاف طرق البحث بين الباحث المصرى ومثيله الأمريكى
فالواقع أن التقدم العلمى ودراسات الكمبيوتر وماكينات التصوير
ساعدت الباحثين فى الجامعات الأمريكية على سرعة جمع المادة العلمية
من شتى مصادرها ، وفى أشكالها المختلفة فى فترة وجيزة مما جعل جمع
هذه المادة لم يعد بالشئ الجديد فى حد ذاته بل التفرغ للتحليل
والتقييم هو الشئ الجديد فى كتابة مثل هذه الرسائل أما فى مصر
فجمع المادة العلمية يستغرق فترات طويلة حيث أنها فى معظمها غير

مرتبة ولا مصنفة علمياً ، يضاف الى ذلك أن بعضها غير معروف مما يجعل معظم باحثينا يبدلون جهوداً مضنية في جمعها ، وقد يؤدي هذا الى جعل بعضهم قصير النفس في التحليل والتقييم ، وليس معنى هذا أن كل الرسائل الأكاديمية التي أجيّزت في جامعات الولايات المتحدة قد وصلت الى حد الكمال فبعضها يشوبه القصور وبعضها اكتفى بالمصادر الأجنبية ، ولم يرجع الى حقل الأحداث في مصر التي يكتب عنها وبمعنى آخر فان هذه الرسائل كما أن فيها الثمين فان فيها الغث أيضاً ، وهذا الشيء ينصب على الرسائل التي نوقشت في جامعاتنا فقصور الامكانيات أحياناً يقف حجر عثرة أمام باحثينا فلا يستطيعون التنقل للتنقيب عما في جعبة دور الوثائق الأوربية والأمريكية من وثائق مصرية موجودة ضمن وثائق هذه الدور .

اننى أدعو الى الأخذ بمبدأ المقارنة بين الرسائل الأكاديمية التي كتبت عن مصر والشرق الأوسط في الجامعات الأجنبية ، وبأقلام غير مصرية ، ومثيلاتها التي ناقشتها الجامعات المصرية وكتبت بأيدي باحثين مصريين فذلك من شأنه تبيان الحقائق ذاتها دون مواربة ولا غرض .

وتوضيحاً لخطأ عملي في هذا البحث نذكر أن الجامعات الأمريكية الموجودة داخل الولايات المتحدة أجازت حتى نهاية ١٩٨٣ والشهور الثلاثة الأولى من عام ١٩٨٤ ما يزيد عن المائة رسالة في تاريخ مصر الحديث أجازتها أقسام التاريخ بها (٢) .

وسنعرض بالتفصيل في بحثنا هذا لمعظم هذه الرسائل ونقارنها بالرسائل المثيلة أو المشابهة لها التي نوقشت في الجامعات المصرية ، أما عن الرسائل التي لم نتعرض لها بالتفصيل في هذه الدراسة غنشير اليها عرضاً علماً بأن أسماء هذه الرسائل ومؤلفيها وسنوات أجازتها

(٢) لم نعرض في هذا البحث لما أجازته أقسام العلوم السياسية بالولايات المتحدة لموضوعات خاصة بتاريخ مصر الحديث ، كما أننا لم نعرض للرسائل التي أجازتها الجامعات الأمريكية خارج الولايات المتحدة .

وأرقام وأماكن تواجدها موجودة ضمن ملاحق هذه الدراسة ، وبمعنى آخر فأننى أستطيع القول بأن هذه الدراسة تشمل كل الرسائل التى أجازتها أقسام التواريخ بالجامعات الأمريكية عن تاريخ مصر الحديث منذ بدء هذه الأقسام الاهتمام بالدراسات المصرية ، وحتى الشهور الأولى من عام ١٩٨٤ •

ولكن ليس معنى ذلك أننى قمت بالاطلاع على كل هذه الرسائل بل ان كل ما استطعت القيام به خلال العام الذى تواجدت فيه بالولايات المتحدة هو الاطلاع على ثلاثين رسالة غير منشورة وحوالى عشرين رسالة منشورة أما باقى الرسائل فقد اطلعت على ملخصات لها فى :

1. Dissertation Abstracts International.

2 . Historical Abstracts, Twentieth century Abstracts.

أما عن الرسائل المصرية المشابهة فقد رجعت إليها جميعا سواء كانت غير منشورة أو منشورة •

وطبقا للقواعد المتبعة فى دراسة مثل ذلك الموضوع فقد قسمت الرسائل الى موضوعات ونظرا لتشابكها فقد اتبعت فى تصنيفها أحيانا المنهج الموضوعى وأحيانا المنهج الزمنى ، فخرجت فى أحد عشر فصلا هذا بالإضافة الى مقدمة وخاتمة وعدد من الملاحق •

وقد عنون الفصل الأول « مصر العثمانية وعصر محمد على » وتضمن ثمانى رسائل تناولت علاقات الدولة العثمانية بالدولة المملوكية حتى قيام الحرب بينهما وهزيمة المماليك فى معركة مرج دابق والريداينية ، والنظم المالية والادارية والقضائية والتجارية والزراعية التى استحدثها العثمانيون فى مصر ، ومكانة العلماء ورجال الدين ودورهم المؤثر فى نفوس المواطنين خلال هذه الفترة كما تناولت

أحدى الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية المتمثلة فى حركة على بك الكبير ، فضلا عن دراسة عن محمد على وسياسته الزراعية ، ودراسة أخرى عن دور إنجلترا وفرنسا والروسيا فى المسألة المصرية التركية خلال عصر محمد على .

ونظرا لأنه لا توجد ضمن الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية دراسات عن عصرى عباس الأول وسعيد فقد عنون الفصل الثانى بـ « عصر اسماعيل ومقدمات الاحتلال » وتضمن ثمانى رسائل تناولت الاهتمام المصرى بمنطقة البحر الأحمر فى عصر الخديو اسماعيل ، ودور مصر الحضارى هناك ، ومحاولات الخديو اسماعيل تحديث مصر بهدف جعلها قطعة من أوروبا وأثر ذلك على المسألة المصرية ، والورطة التى وقعت فيها مصر من جراء ذلك ، ونظام المحاكم المختلطة وأثره على نظام القضاء فى مصر ، كما شمل السياسة البريطانية فى مصر قبيل عصر الاحتلال ومحاولات إنجلترا ابعاد مصر عن أى نفوذ أوروبى .

وشمل الفصل الثالث وهو بعنوان « مصر بين الاحتلال والسياسة الأوروبية » سبع رسائل تناولت احداها السياسة البريطانية فى مصر خلال حكومة سالسبورى ، وتناولت الأخرى سياسة الوفاق التى اتبعتها المعتمد البريطانى جورست فى مصر خلال فترة حكمه لها أما عن الرسائل الخمسة الأخرى فقد تناولت دور الاحتلال البريطانى فى تحديث مصر وتطورها والمسألة المصرية فى البرلمان البريطانى ، وموقف الدول الأوروبية من القضية المصرية .

أما الفصل الرابع وهو بعنوان « مصر بين ثورتين » فقد شمل ثمانى رسائل تناولت الثورة العربية وتطوراتها والخديو عباس الثانى ودوره فى الحركة الوطنية ، وأحوال مصر قبيل وخلال قيام الحرب العالمية الأولى ثم سعد زغلول وثورة ١٩١٩ ، ولجنة ملنر ومقاطعة

الشعب لها ، وتكاتف كافة طبقات الأمة من أجل الاستقلال ، وتصريح
٢٨ فبراير والظروف التي أدت الى اصداره •

وعن الفصل الخامس وهو بعنوان « الأحزاب السياسية فى
مصر » فقد تضمن ثلاث رسائل شملت اثنتان منهما الحزب الوطنى ،
ومصر الفتاة أما البحث الثالث فكان عن دور الأحزاب فى سياسة
التحديث فى مصر •

أما الفصل السادس وهو بعنوان « القوى الاجتماعية فى مصر »
فقد تضمن ست رسائل شملت طبقة الأعيان ودورها فى الحياة
السياسية فى مصر كما تناولت كلا من الحركتين العمالية والنسائية •

وعن الفصل السابع وهو بعنوان « السودان بين الحكم المصرى
والأطماع الانجليزية » فقد تضمن سبع رسائل شملت تكوين السودان
الحديث وفتح محمد على له ثم خروج المصريين منه بعد قيام
الثورة المهدية وعودتهم اليه وحكمه بالاشتراك مع الانجليز ، ومشكلة
فاشودة والصراع الانجليزى الفرنسى فى منطقة أعالي النيل ، كما
تضمن مشكلة جنوب السودان ومحاولات الانجليز والبعثات التبشيرية
تعميق روح الانفصال بين شمال السودان وجنوبه •

والفصل الثامن وهو بعنوان « الحركة الفكرية والثقافية فى
مصر » فقد تضمن ثمانى رسائل شملت الاصلاحات التى تمت بالأزهر
فى القرن العشرين ، ودور صحيفة الأزهر فى نشر الوعى الدينى وقيادته
دار العلوم ودورها الحيوى فى صيانة اللغة العربية وأحوال التعليم
فى مصر فى عصر كرومر ، ودراسة عن اهتمام الانجليز بالآثار المصرية
يضاف الى ذلك ثلاث دراسات عن تطور الفكر الاسلامى الحديث
وظهور التيارات الليبرالية والقومية فى مصر •

أما الفصل التاسع وهو بعنوان « رواد الحركة الفكرية فى
مصر » فقد شمل احدى عشرة رسالة تضمنت دراسات عن الشوامخ

الذين أثروا فى الحركة التاريخية والثقافية والفكرية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وهم الجبرتى ، والطهطاوى ، وعلى مبارك ، ويعقوب صنوع ، وفرح انطون ، وجرجى زيدان (رسالتان) وسلامه موسى ، ومحمد حسين هيكل ، وسيد قطب هذا بالإضافة الى دراسة عن المؤرخين المصريين منذ الجبرتى وحتى عام ١٩٢٢ •

والفصل العاشر بعنوان « علاقات مصر الدولية بين الحربين » فقد شمل ثلاث رسائل الأولى عن معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ، والثانية عن علاقات مصر مع ايطاليا ، أما الرسالة الثالثة فعن علاقات مصر مع المانيا ، وقد اتضح من هذه الرسائل أن علاقات مصر الدولية كانت تقع بصفة دائمة تحت تأثير السياسة البريطانية ، وطبقا للمعاهدات المصرية مع بريطانيا •

والفصل الحادى عشر والأخير بعنوان « مصر عبد الناصر » فقد شمل خمس رسائل ثلاثة عن قناة السويس ، وآثار تأميمها على العلاقات الدولية ، واثنين عن العلاقات المصرية السوفيتية خلال حكم عبد الناصر • وأعقب ذلك الفصل خاتمة تحليلية لهذه الدراسة •

أما أهم المصادر التى اعتمدت عليها فى كتابة هذا البحث فهى رسائل الدكتوراة الأمريكية والمصرية غير المنشورة والمنشورة ، والمقابلات الشخصية مع بعض أصحاب هذه الرسائل ، وفهرس الرسائل الأمريكية الموجودة بمكتبة الكونجرس فى واشنطن والذى وضعه جورج ديمترى سليم ، هذا بالإضافة الى بعض الملخصات التى أوضحت بيانات تفصيلية عنها فى ثبت المصادر •

ويطيب لى أن أتقدم بالشكر الى كل من مد لى يد المعاونة لاتمام هذا البحث وأخص بالذكر الدكتور Donald Reid والدكتور

Lois Aroian والدكتور Arthur Goldschmidt ولا يفوتنى أن
أنوه بجهود العاملين فى قسم Interlibrary Loan بمكتبة جامعة
Penn state فى مساعدتى على استعارة عشرات الرسائل الخاصة
بموضوع البحث من العديد من الجامعات الأمريكية المختلفة ، وانى
أمل أن أكون قد وفقت فى اضافة افادة جديدة للمدرستين التاريخيتين
المصرية والأمريكية يتاح من خلالها منع التكرار غير المقصود فى الرسائل
الأكاديمية ، وتبين الفجوات التى مازالت باقية فى أبحاثنا التاريخية
فيملأها الباحثون بأبحاثهم •